اسم الأستاذ(ة): سلوى بوراس
المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية
السنة: الثانية.
التخصص: دراسات أدبية
النوع(محاضرة/تطبيق): محاضرة
المجموعة: الرابعة

الأدب الافريقي القديم

الحمار الذهبي لأبوليوس:

وصلتنا رواية الحمار الذهبي لأبوليوس النوميدي بعد ظهورها حوالي القرن الثاني للميلاد، فهوية أبوليوس جزائرية المولد، وإفريقية المنبث وأمازيغية الأصل، ولكنها رومانية الجنسية واغريقية الثقافة والفكر وشرقية المعتقدات [1] هذا العمل الذي وصلنا كاملا محتفظا بمميزاته " مرورا بالعصور الوسطى وعصر النهضة ووصولا إلينا دون أن يفقد شيئا من ذهبيته وكأنه قد كتب لعصرنا أو لعصر لا نهاية له، وهذا شأن الكتب العظيمة".

تعتبر رواية الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية لا يعتبر ضربا من العنصرية، بقدر ما هو لحظة الرجوع إلى الذات والحفر في الذاكرة الجزائرية التي استطاع أبناءها أن ينفتحوا على العالمية دون عقدة ونقص[2]

ظهرت قصة أوليوس في مسخ إنسان إلى حيوان ثم عودته إلى حالته الأولى، في أواخر القرن الأول بعد الميلاد أي حوالي سنة 170م في قرطاج وراوي هذه القصة لوسيان حيث حول البطل لوكيوس إلى حمار هذا الأخير الذي سيعود إلى صورته الآدمية الأولى بعد مغامرات عديدة تتخللها قصص جزئية متداخلة، تضمنيا وتوليدا.

يعتبر تحول لوكيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني والعقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته وإنسانيته، كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه منحطوا الأخلاق ذلك أن لوكيوس يدخل في علاقة غير شرعية مع خادمة مضيفة وكنتيجة لانحطاطه وعدم سموه أخلاقيا لن يعود إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه وانفعالاته البشرية العدوانية وقد آل هذا التحول إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الانسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان حينما يستلم لغرائزه وأهواءه وانفعالاته

[1] جميل حمداوي|: الحمار الذهبي لابوليوس أول عمل روائي في الفكر الإنساني الأمازيغي الحوار المتمدن، العدد 1924
[2] لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص20.

الضالة. بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة.

توجه شاب يدعى لوكيوس من مدينة كورنيت، لأسباب عائلية إلى مدينة هيباتا بمقاطعة تيساليا، فيلتقي في طريقه إليها بمسافرين، سمع عن أحدهما حكاية بشعة، ولكنها مثيرة عن الأعمال السحرية حركت فضوله، وعندما وصل مدينة هيباتا نزل ضيفا على غنى بخيل يدعى " ميلو"، والتقى في المدينة بقريبة لأمه اسمها " بيدهينا"، حذرته من الأعمال السحرية، التي تمارسها بامفيلا، زوجة مضيفه " ميلو"

وعرضت أن يقيم عندها تجنبا لما قد يناله بسببها من متاعب، ولكنه رفض عرضها حتى لا يجرح شعور مضيفه البخيل.وزاد هذا التحذير من فضوله ومن رغبته في التعرف على هذه القوى السحرية الغامضة، وأخذ يتقرب، لبلوغ هذا الغرض من فوتيس خادمة " بامفيلا"، في يوم من الأيام ألح على " فوتيس" أن تمكنه من رؤية سيدتها وهي تمارس الأعمال السحرية، فوعدته بتحقيق رغبته في وقت قريب، ووفت بما وعدته فعلا، فقادته إلى مكان خفي، استطاعا منه أن يلاحظا معا كيف أخذت" بامفيلا" مرهما من إحدى العلب ودهنت به جسمها، فتحولت إلى بومة وطارت مبتعدة عن بيتها، عندها ملك الفضول عليه نفسه، فرغب أن يعيش هو نفسه لحظة التحول، فألح على الخادمة أن تستجيب لرغبته، فلم تمانع في ذلك وحين أحضرت له المرهم المطلوب، أخطأت في تناول العلبة المناسبة فكانت نتيجة ذلك أن تحول لوكيوس بعد ذهن جسده به إلى حمار، وراح يشاهد نفسه كيف أخذت تبرز في جسمه كل أعضاء الحمار، وكيف أخذ يتصف بجميع صفاته الظاهرة باستثناء عقله، الذي ظل عقل إنسان، غير أن حبيبته الخادمة وعدته بأنها ستحضر له في الصباح التالي باقة من الورد ليأكل منها، ويستعيد بذلك شكله الإنساني، ثم قادته إلى الإسطبل، ليقضي فيه ليلته مع حصانه وحمار مضيفه" ميلو" لكن لسوء حظه، هاجم اللصوص البيت في الليلة نفسها، فحملوا المسروقات عليه وعلى زميله وقادوه تحت الضربات الكثيرة الموجعة إلى مغارتهم في إحدى الجبال، وكانت تقوم على خدمتهم امرأة عجوز وفي المغارة عاش حدثا آخر مروعا، وهو أن اللصوص أحضروا معهم فتاة رائعة الجمال، كانوا قد اختطفوها يوم عرسها لابتزاز أموال أبيها، فراحت تبكي بكاء مرا تواصل طويلا ولم تسكت الا عندما هددتها العجوز. فراحت حيتئذ تروي لها حكاية لتسليتها، ذات يوم حضر شاب إلى المغارة مدعيا أن له تجارب كثيرة في ميدان اللصوصية، واقترح أن يكون رئيسهم فوافقوا على ذلك، ولم يكن هذا الشاب في واقع الأمر إلا خطيب الفتاة المختطفة، فأسكر الصوص ثم قيدهم وفر بخطيبته بعد أن أركبها فوق ظهر الحمار (لوكيوس) وأعادها إلى والدها، أرادت الفتاة أن ترد الجميل للحمار فأوصت والدها العناية به، فأمر بتسليمه إلى رئيس الإسطبل لإرساله إلى المرعى مع الخيول، لكن ما إن وصل الحمار المرعى، حتى وجد معاناة جديدة في انتظاره، فقد استُخدم في إدارة الرحى، وفُرض عليه حمل الحطب من الجبل إلى السهل ولقي معاملة قاسية من

الفتى الذي يسوقه، وتبدأ رحلة جديدة في حياة لوكيوس بعد موت الفتاة، فقد سرقه رئيس الاسطبل وفر به، وبعد مغامرات أخرى وقع في يد مجموعة من رهبان الإلهة السورية" إيزيس" فكان عليه أن يحمل تمثالهم أثناء تنقلهم، وكانت له معهم تجارب مريرة أيضا، ونال منهم العذاب أكثر من مرة، ولم يسلم من سطوتهم إلا بعد أن اتهم الرهبان بسرقة قدح ذهبي وسجنوا، وأصبح له سيد آخر.، فقد اشتراه طحان استخدمه في إدارة حجر الرحى، وكانت زوجته تكره الحمار وانتقلت ملكيته بعد الطحان إلى بستاني ، فعانى عنده الجوع والبرد ومنه

انتقلت ملكيته إلى جندي، ثم إلى أخوين يعملان حلاويين وطاهيين عند أحد الأغنياء، فبدأت مرحلة رائعة بالنسبة إليه، إذ صار يأكل بشكل كاف من بقايا الأطعمة التي كان الأخوان يحضرانها من بيت سيدهم، غير أن تناوله لهذه الأطعمة سرعان ما تحول إلى نزاع بين الأخوين: إذ اتهم أحدها الآخر بأكلها دون علمه، ثم اكتشفا السر وحدثا سيدهما عن ذلك، فأبدى السيد اهتماما كبيرا بذوق الحمار واشتراه منهما، وقدمه لعتيق للعناية به، وعلمه هذا ألعابا مختلفة نالت إعجاب الخاص والعام، وأخذ يؤجره لمن يرغب في خدماته المتنوعة، ومن ذلك قرر صاحبه تقديمه في عمل مخز على المسرح، لكنه أنقذ نفسه من تلك المهزلة بالفرار منه، وأخذ التعب منه فنام حيثما اتفق له وحين استيقظ في منتصف الليل وجد نفسه على الشاطئ، فأغطس رأسه في البحر سبع مرات وتضرع إلى ملكة السماء أن تحرره من هيئة الحيوان،. وعندما عاوده النوم ظهر له الاله **"إزيس"** في حلمه وأخبرته أنها استجابت لدعائه، وما إن وصل الموكب العظيم لتمجيد آلهة **"كورنيث"** حتى لمح لوكيوس: الكاهن وهو يحمل إكليلا من الورد فأسرع إليه وأكل منه، فاستعاد في الحين هيأته البشرية، فتحدث الكاهن عن قدرته الإلهية على إحداث هذه المعجزة التي اندهش لها الناس وأمر لوكيوس بتكريس عبادته لها طول حياته.

ذهب إلى الموكب المتوجه إلى البحر لتدشين سفينة، ثم عاد معه إلى معبد الإلهة، وظل بعدئذ وفيا لعبادتها إلى أن تم له في النهاية الاطلاع على أسرارها، فكان يتردد في معبد روما على زيارة معبدها، وبعد سنة اطلع أيضا على أيضا على أسرار **"أوزيريس" ونال** الدرجة الثالثة من القدسية بعد فترة أخرى من الزمن وصار كاهنا في نظام الرهبنة.

تقسيم الراواية:

يعتبر الحمار الذهبي نصا سرديا يتضمن خمس لحظات فنية وجمالية تكون ما يسمى بالحبكة السردية للرواية.

1/ لحظة البداية المتوازنة

في هذه الفترة يعيش البطل – الراوي- حياة متوازنة من سماتها الاستقرار والتعقل بالرغم من الصعوبات المحيطة به وهكذا لم يكن هناك ما يعكر صفو لوكيوس مع حبيبته فوتيوس

بالرغم عصابة " هوباتا" التي يتلذذ لصوصها بقتل من يمر عليهم وسلب ممتلكاتهم وثرواتهم النفسية.

2/ لحظة التوتر الدرامي:

رغبة في معرفة أسرار السحر والتطفل على عالم الساحرة " بامفيلا"، وتحقيق الطموح عبر التحول إلى طائر للتخلص من عالم البشر والارتقاء من عالم البشر يتحول لوكيوس إلى حمار ذهبي عن طريق الخطأ ومن هذه العقدة التي تتمثل في التحول والإمتساخ الحيواني تبدأ لحظة اختلال التوازن الذي يحكم أغلبية القصص العجائبية.

3/لحظة الصراع:

تتمثل هذه اللحظة في صراع لوكيوس مع الواقع المتعفن الذي لم يجد فيه سوى العذاب والضرب والاحتيال والمكائد والفساد إنه عالم الزيف والنفاق والتردي الإنساني.

4/لحظة الحل:

يتمثل حل الرواية في تحول "لوكيوس" إلى إنسان بعد أن ساعده الآلهة" إيزيس" على ذلك.

5/لحظة النهاية:

تتمثل في رجوعه إلى حالته الطبيعية.